فهذا هو رأيي انا الفقير عبدالله زاخر مؤلف هذه الرسالة وها انا اثبتهُ بامضائي وخط يدي واقدمهُ لمن ينكرهُ عليَّ ويُسلِّم خلافهُ ليدحضهُ إن لم يره صحيحاً ولكن بشرط ان يكتب لي ذلك بخط يدهِ او امضائهِ وعن لسانهِ لا عن لسان غيرهِ وذلك بضميرٍ مستقيم وعقلٍ ناظرٍ الى حق فقط والحمدُ لله وحدهُ

الفنون الجميلة والكنيسة

نظم حضرة الخورفسقوس جرجس شلحت السرياني الحلبي

تَوْطئة

الفنون الجميلة كما اصطلح عليها الاقدمون هي التي اتخذها البشر لزينة العقل خصوصاً وكانوا يفرزونها عن الفنون الصناعيَّة التي مرجعها غالباً الى الاعمال اليدوية والى المهن والحرف المادية. وكذلك كانوا يفرقون بينها وبين الفنون العلميَّة التي تختصّ بالنظريات كالفلسفة والرياضيات. وقد جعلوا الفنون الجميلة سبعة عدَّا: الخطابة او البلاغة ثمَّ الشعر ثمَّ الرسم او التصوير ثمَّ النقش او نحت التماثيل ثمَّ البناء ثمَّ الموسيقى ثمَّ الرقص او الحركات المنتظمة. وعلى هذه الفنون السبعة بنى حضرة المنسيور جرجس شلحت مقالتهُ الشعرية مفرداً لكل بابٍ عدداً من الابيات الرائقة يثبت ما للدين عليها من الحقوق وما بينهُ وبينها من الوفاق. وهذه القصيدة من بعض فصول كتابهِ « الدجوى » الذي طبعت منهُ مقدمتهُ فقط سنة ١٩٠٣. وهي طويلة اقتصرنا منها على ما ترى بياناً لفضل صاحبها

ل. ش

مشهد الطبيعة

الدِّينُ والعلمُ مع الصِّناعهْ ... تالوثُ ارضٍ شرعهُ الإطاعهْ
أمامَ تالوثِ السَّماء يسجدُ ... وبأتِّفاقِ الرَّأيِ كانَ يعبُدُ
فالدِّينُ رامَ الخيرَ والصلاحا ... والعلمُ للحقِّ بغى إيضاحا
ومقصدُ الصناعةِ الجمالُ ... في كلِّ فنٍّ سحرهُ حلالُ
وما الجمالُ غيرُ مَجْلى الحقِّ ... والخيرِ والنظامِ بين الخلقِ (١

(١) اطلب فصل « تعريف الحسن » الذي نشرتهُ في السنة الثانية من مجلة الضياء عام ١٩٠٠

فالعلمُ فهمُ خلقةِ الالـهِ بالرَّغمِ من معطِّلٍ تيَّاهِ
وما الصِّناعةُ سوى تمثيلها لعَيْنِ مَن يرغبُ في تخيلها
لذا الفنونُ صدرتْ عن مشهدِ جمالِ صُنعِ البارئِ المجَّدِ
فالكونُ يبدو للورى بديعا ويُبهج الناظرَ والسميعا
لا يحسدُ الصماخُ فيهِ الطَّرْفا فالاذنُ ايضاً فيهِ تُلفي ظَرَفا
مِن جامدٍ ومانعٍ ورائق ونابتٍ وصامتٍ وناطقِ
ونافحٍ وفائحٍ وساجمِ وسابحٍ وصادحٍ وباغمِ
وباسقٍ وسامقٍ وزاهرِ وبارقٍ وشارقٍ وباهرِ
محاسنٌ ملكتِ المشاعرا وراحَ منها كلُّ عقلٍ حائرا
عن وصفها تُعجزُ هذا الشاعرا ان كان فيهِ ناظماً او ناثرا
ان شئتَ ان تجدها مجموعهْ في مظهرٍ منظورةً مسموعهْ
في مظهرٍ يخطفُ منك البصرا والسمعَ بل يسلبُ منك الفكرا
فعُجْ ولِجْ كنيسةً وأجِلِ قداحَ طرفٍ في بهاء الهيكلِ
وعِ اناشيدَ الصلوة وكُنِ مُراعيَ السمعِ لوقعِ الارغنِ

البناء

كلُّ الفنونِ مظهرِ الجمالِ وغايةِ التمامِ والكمالِ
تنظرها بغير ما جدالِ في معبدٍ من الطراز العالي
حتى يُرَدَّ الطَّرْف في كلالِ عنهُ ويُلقى الذهنُ في انذهالِ
في معبدٍ لله ذي الجلالِ كم تلتقي للحسن من مجالِ
في معبدٍ لربِّكَ القدوسِ مشيَّدٍ للحمد والتقديسِ
محاسنُ الطبيعةِ المنوَّعهْ تجدها بأسرها مجمَّعهْ

في الكونِ تلقى ذلك الرَّقيما ... بهِ النجومُ رُصِّعتْ ترصيعا
ان هُوَ الَّا القبَّةُ الزرقاءُ ... تزينها الكواكبُ الزَّهراءُ
ورمزها القبَّة في الكنيسهْ ... مزدانةٌ بدُررٍ نفيسهْ
بحسنها حاكت دراري الخَضرا ... والدُّرَرُ الغرُّ دراري القَبرا
فنُّ البناء يا لهُ من فنِّ ... آدمُ قد ألهمهُ في عدنِ
ترى بهِ مذابحَ المسيحِ ... كأنها الجنَّة في الصحيحِ
فنُّ البناء مطمحُ المؤمِّلِ ... وغاية الفنِّ تُرى في اهيكلِ
فنُّ البناء اوَّل الفنونِ ... قد كان مأوى آدمَ المسكينِ
من بعد أن طردَهُ العليُّ ... حاكى الجنانَ جدُّنا الشَّقيُّ
في سفح طورٍ انشأ الرياضا ... وسبَّحَ المهيمنَ الفيَّاضا
فالكونُ كان معبدًا عظيما ... والطُّورُ كان مسجدًا فخيما
في كهفهِ كان المبيت الاوَّلُ ... ثمَّ ابتناء النفعِ شيدَ المنزلُ
وفيهِ ربِّي عبدَ الخلائقْ ... بل نوحُ شادَ معبدًا للخالقْ
وقد مشى النُّسل على آثارهِ ... وطَبعوا حينًا على غرارهِ
فرفعوا هياكلَ العبادهْ ... في غاية الاتقان والإجادهْ
الى زمانٍ مرَّ بعد الصَّرحِ ... والشعرُ قد يأبى طويل الشرحِ
الى زمانٍ فيهِ عينُ المرء ... زانَتْ بما خطفها من مرئي
فشيَّدوا الهياكل الانيقهْ ... ليعبدوا الاهواءَ في الحقيقهْ
حاشا سليمانَ مقيمِ الهيكلِ ... للواحدِ الكائنِ منذُ الازلِ
من ولدِ يعقوب الحظيِّ الأَلى ... خصَّهمُ المولى بأسرار الولا
عبدةُ الاصنامِ ضلَّت شاردهْ ... وعن صراط الحقِّ ظلَّت حائدهْ

حتّى اتى مخلّصُ الخليقهْ ليُصلح النُّهيه والخليقهْ
فحازت الكنيسةُ المقدّسهْ فتحًا جديدًا في سبيل الهندسهْ
هندسةٌ سنيهٌ سنيّهْ تبقى بقاء دهرنا غنيّهْ
نظامُها الهندام في البنيان كأنّهُ الإيقاعُ في الآذانِ
وشرعُها تناسُبُ الاجزاء كأنّهُ تناسُب الاعضاء
ذي وحدةٌ تقوم في التنوُّعِ مبدأ حسنِ كلِّ كونٍ مُبْدعِ
بل «مبدأ الجمال (١)» ذاتُ الوحدهْ يذكرها الكافر عند الشدّهْ
وهيَ «إلهُ العلمِ (٢)» والمعارفْ تسير في ظلِّ هُداها الوارفْ
وهي التي لم تشإ انفرادا فانشأتْ عالَمنا ايجادا
في كونها محمودةَ الصُّنعِ وفي معبدها بحمدها الخلقُ تفي

القاعة

لكنّهُ الكونُ يصيرُ خاويًا ان كان يومًا من دُماه خاليًا
تلك نباتٌ لا جمادٌ هامدْ فيهِ حياةٌ حارَ منها الجاحدْ
وحيوانٌ بينّ فيهِ الاخا والحسُّ فضلٌ فارقٌ عنهُ الأخا
وبشرٌ بنفسهِ يحكي الملكْ وجسمهِ مع البهائمِ اشتركْ
هذا دعوهُ ملكُ الطبيعهْ اتى فكانت امرَهُ مطيعهْ
هذا هو المرءُ العليُّ الشانِ على مثالِ باريْ الاكوانِ
بناؤهُ بدونِ فنِّ النَّقشِ لا يُشبهُ الكونَ البديعَ الرقشِ
فنُّ البناء قائمٌ بالخطِّ وداخلُ هندامهُ في الشرطِ

١) راجع سفر الحكمة (٢٣:٣١)
٢) سفر ١ ملوك (٣:٢)

فسطحهُ ان لم يُزَن بفتحِ تأثِنا متنٌ بغير شرحِ
وصَرْحُه تحسبهُ أشباحا جامدةً فاقدةً ارواحا
ان لم تقُم فيهِ التماثيل يُرى كالارض إنْ حرّمها اللهُ الورى
او كالسماء بَرِحَتها الشُّهبُ او كأس راحٍ لم يُزنها الحَبَبُ
او سِلْكِ تبرٍ لم يُحَلَّ بالدُّرَرْ او مزنةٍ ضنَّت علينا بالمطرْ
أَجَلْ اذا القصرُ خلا من دميةٍ تخالهُ جوًّا خلا من ديمةِ
او بقعةً قد ذبلتْ ازهارُها وخسرتْ اثمارَها اشجارُها
وغادرت اطيارُها الاوكارا لمّا غدت ارياقُها قفارا
لا شيءَ فيها يبهج النواظرا ويُثلجُ الاسماعَ والخواطرا
والمرءُ لا يبغيهُ على التقى سوى شميمهِ لزنبقِ النقا
وحَدْجهِ التمثالَ بالابصار يُذكرهُ فضائل الابرارِ
وسمعهِ الاشعارَ في الاسحارِ تشدُو بها الرهبانُ في الاديارِ
تُسبِّحُ اللهَ على الاوتارِ ونَغَمِ القيثارِ والمزمارِ
يجثُو امامَ دمية القديسِ مقدّسًا لربهِ القدُّوسِ
مُستغفرًا من ذنبهِ الكبيرِ كعبدِ سوءٍ آبقٍ صغيرِ
مُلتمسًا منهُ غياثًا ومدَدْ مستشفعًا لهُ الى المولى الصمدْ
وطالما اصبحَ يجثُو راكعًا امامَ دميةِ الطَّلاح خاضعًا
بين الكمنجا واغاني العشقِ ورقص ربّاتِ الهوى والفسقِ
مصطبحًا مغتبقًا والراحُ افراحها تُعقبها اتراحُ
كان يعدُّ السعدَ في ذاكَ وذا لكنَّهُ من الشباكِ أقذا
لدى سماعِ خطبةٍ لواعظِ ألفاظهُ تَرْدي بنثر الجاحظِ

وبمعانيهِ يضاهي الذهبي إمامَ اهل الوعظِ قسُّ الخطبِ
في معبدٍ كالكون في زينتهِ وجنَّةِ النعيم في حليتهِ
دماهُ تحكي في بهاء النقشِ أبرارُها تحمدُ ربَّ العرشِ
من الدمى في معبدِ النصارى تجـدنا بلا طِلًا سكارى
ومن سَنى رواتها حيارى وفي قيود فنِّها اسارى
لكنَّنا لا نعبدُ التمثالا كما هذى جُهَّالنا مقالا
بل نتمثَّل بها اصحابَها مبجِّلين كلُّنا اربابَها
الشَّافعين عند مُبدي النفسِ لنا وذا لهمْ بدا كالشَّمسِ
فعَمِهوا بصيرةً والبصرُ غشيَهُ عشاوةٌ او سدَرُ
والمُعْيُ اعداءٌ لضوء البدرِ والجهلُ مدعاةٌ لكلِّ شرِّ
ومن يكن في البُطْل والغوايهْ يظنُّ انَّ زعمهُ هدايهْ
ومن غدا محترمَ الدرايه لهُ يُخيَّلُ بلوغُ الغايهْ
من الصَّلاح بل بُلوغُ الجنَّهْ متَّبعًا ما وضعتهُ السُّنَّهْ
بدُونِ انْ يَمرَّ منـهُ النَّاظرْ ويطربَ السَّمع ويُجلِي الخاطرْ
بدُمْيةٍ او صورةٍ او نغَمِ تدعوهُ للخشُوعِ بل للندمِ
كأنهُ قد عَدِمَ الشُّعورا وفي الحيوة سكنَ القبورا
بل القبورُ تقتضي ان تُنصبَا فيها تماثيل البها لتُعجبا
هذا جناهُ الخوفُ من عبادَهْ لوثنٍ كانتْ لهُ السيادهْ
في غابر الاحقاب والدهور وبالمسيح كان عصرُ النور
حتى لوِ النقَّاشُ رامَ صُنْعَا لدميةِ الله لجاء بدعَا
تحتَها شيخًا وقارًا بارعا جلالهُ للعين يبدو رائعًا

لا يدَّعي بذاك انَّ البـاري مجسَّمٌ كصنمِ الفخَّارِ
لكنني لا أرتأي ان تُصنعَا لمثلِ ذا سذاجةٍ ان يخدعَا
بدُميـةِ المسيحِ والعذراء لنا غِنىً عنها بلا مراء

الرسم

وانما النحتُ بلا تصويرِ تُعوزهُ براعـة التحبيرِ
ان رامَ تمثيلًا لصنع الخالقِ فدونهُ يحولُ ألفُ عائقِ
هيهـاتِ أن يُمثِّلَ الالوانا وينقـلَ الانوارَ والافنانا
وينظمَ الاضواءَ والافيـاءَ ويرسمَ الخضراء والغبراءَ
فسدَّ فنُّ الرسمِ هذي الثلمهْ لذاكَ للنحتِ غدا تتمَّهْ
وهو الذي قد فازَ في السباقِ ان شُبِّهَ الإتقانِ بالعتاقِ
فرسَمَ الروضَ الاريضَ والفلكْ واللهَ مَنْ للجلدِ الاسمى سَمَكْ
وآدمَ الجدَّ وحوَّا والملكْ ومَن بكبرٍ وعتوٍ قد هلكْ
مصوِّرًا جنَّةَ عدنٍ والسما حتى بدا الحسنُ بهِ مجسَّما
مميِّزًا بين البها والقبحِ وليسَ نَبْلُ طائرٍ كصَدْحِ
في صورةِ الملاكِ والشيطانِ وطلعةِ النسناسِ والانسانِ
وهو الذي يُقرِّبُ البعيـدَا ويهبُ الاشيا بها جديدَا
اذ يتفثُ المرْءُ بها من نَفَسِهْ منوِّرًا ظلمتهـا بهَبَسِهْ
مجرِّدًا احياءها عن رجسها وباعثًا امواتها من رمسها
يعيدها لا قاصدًا تمثيلها بعينهـا بل قاصدًا تجميلهـا
منتحيًا بليِّـهِ الجـلالا محتـذيًا لربهِ مثـالا
منتحلًا بوضعهِ مقالـهْ محاكيًا بصنعـهِ فعالهْ

مسافرًا لعالم الاذهانِ في قلهِ مشاهدَ الاعيانِ
مقتديًا بالمُنشيء البديعِ في رسمهِ لكونهِ البديعِ
ذاك الذي يقدرُ أنْ يبتدعا عوالمًا تكونُ نوعًا ابدعا
لا صحّةٌ لقولهم : لن يُمكنا باري الورى أبدعُ مما كوّنا(١
لكنَّ هذا الكونَ كالقيثارِ مهندمٌ مدوزَنُ الاوتارِ
اشياؤهُ شجيّةُ الرُّنَاء هيآتها بهيّةُ الرُّوَاء
منشورةٌ في عالمٍ عظيمِ ينظمها الراسمُ في رقيمِ
صورها مطبوعةٌ في حسّهِ كانهُ مرآتها بنفسهِ
يزيدُها وسامةً من عندهْ مخترعًا مُثلَها بجهدهْ(٢
خَياله يُكسبها كمالا فتصبحُ الاشياءُ ارقى حالا
اذ تُجمعُ المحاسنُ المختلفهْ على النسيجِ فترى مؤتلفهْ
والروحُ يحييها فتغدو راحا تُسكرُنا ولا ترى أقداحا
بل يَفتدي الجمادُ حيًّا ناطقا بالرسم والداجي يعودُ شارقا
وورقُ الاشجار تُمسي لُسنا كأنها الوُرْقُ تُجيدُ اللحنا
هذا هو الرسمُ وما المصوّرُ سوى الذي بفكرهِ يبتكرُ
ويبتغي بصنعهِ الصلاحا ان صوّرَ القباح والملاحا
ان صوّر الشيطان يبدو اشنعا لأن كلَّ الشرِّ فيهِ اجتمعا
وصوّر الملاكَ يبدو أسنعا لانَّ كل الخيرِ فيهِ انطبعا
وصوّر الكهلَ ترى المهابهْ تشملهُ حتّى علتْ ثيابهْ

١) راجع حاشية مقدمة كتابي المعروف « بالشجرى » ق ١ ف ٣ ص ٥٢
٢) طالع قول الكاتب الفرنسوي دلاناي المثبت في مقدمة الشجرى ق ١ ف ٤ ص ٧٦

وصوَّر المرأةَ تُلقي الطهرا من بُرْدها الاسنى يفوح عطرًا
وصوَّرَ الطفلَ ترى الملاحهْ في ثغره بل كلهُ صباحهْ
ذي صورةٌ للاسرةِ العُلويَّهْ تُبصرها في البيعة القدسيَّهْ
ذي يوسفُ الابرُّ والبتولْ والحملُ الفادي ابنُها الجميلُ
ناداكمُ هُبُّوا ايا نيامُ وأقبلوا اليَّ لن تُضاموا
ضموا عن الرقاب ذاكَ النيرا في بيعتي تلقونَ حقًّا نورًا
يحكم من العناء والنصَبْ وعندهُ تلقونَ غاياتِ الاربْ
بل يجدُ المجرَّبُ الاثيمُ مواهبًا يُخزى بها الرجيمُ
يَسرُّهُ بها الملاكُ الحارسُ من كلَّ سرٍّ هو منهُ قابسُ
في بيعةٍ كانها الملياءُ بوشيها او روضةٌ غنَّاءُ
بل تسحبُ البيعةُ في زخرفها على الدزاريِّ سَنَى مُطرَفها
فبهجةَ الدنيا حوتْ في صحنها والفلكَ الاسمى علتْ في حسنها
وسبَّحتْ بحمدِ ربِّ الفلَقِ اجواقُها في شفقٍ وغسَقِ
والسُّرْجُ تحتَ قبةِ الكنيسهْ قد مثَّلتْ انوارهُ القدُّوسهْ
وكل جوقٍ فوقَ جوقٍ قد سما كالملإِ الاعلى وسكَّان السما

(له بقية)

سياحة اسقفية الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الى الجش

في ٢٦ من شهر ايلول اقرأنا الوداع على اهل الجش وعدنا الى عينبل ثمَّ استأنفنا المسير صباح اليوم الثاني الى الجش فواكبتنا شرذمة من الفرسان حتى دخلنا سهلًا واسعًا